ثقافة الرفاعي ودوره في المجتمع المصري
دراسة ميدانية في مدينة طنطا

إعداد

ماريان عزمي عازر فهمى

مدرس بقسم علم الاجتماع

كلية الآداب – جامعة طنطا

محتويات البحث

مقدمه
أهداف الدراسة وتساؤلاتها
مفاهيم الدراسة
الدراسات السابقة
الرؤية النظرية للدراسة
الإجراءات المنهجية للدراسة
نتائج الدراسة والاستخلاصات الأساسية
الهوامش والمراجع
الملاحق

مقدمه :

يتعرض الفرد فى المجتمع للعديد من المعارف والآراء والأفكار التى تشكل ثقافته وتسهم فى تكوين شخصيته ، وهو بذلك إنما يندمج فى إطار الثقافة العامة أو الثقافة الكلية التى يقرها المجتمع من حوله . ويكتسب الفرد هذه الثقافة من خلال مروره بأنساق التنشئة الثقافية المختلفة بدءاً من الأسرة والمدرسة ومروراً بدور العبادة ووسائل الإعلام حتى التحاقه بالمؤسسات المهنية ، وجميع هذه الأنساق تتداخل فى تشكيل ثقافة الفرد.

ومن المعروف أنه تندرج داخل الثقافة الكلية لأي مجتمع العديد من الثقافات الفرعية الأخرى، وقد يتقبل الفرد البعض منها ولا يتقبل الآخر وذلك حسبما تسمح به حدود الجماعة المرجعية التى ينتمي إليها الفرد .

فإذا كانت الثقافة في معناها العام تشمل كل مظاهر السلوك التى يكتسبها الفرد فى تكيفه مع المجتمع ، فإن الثقافة الفرعية هي ثقافة خاصة بطبقة أو جماعة اجتماعية محددة ، وتتميز بأنها ثقافة مستقلة ومتغايرة عن الثقافة الكلية ، ولكنها لا تتعارض معها ، كما أنها تتميز بالتكامل والكلية فى داخل الجماعة نفسها ، وهي ذات سمات تختص بجماعة محددة يطلق عليها الجماعة الثقافية ، وتؤثر الثقافات الفرعية على الشخصية ، حيث ينشأ الإنسان فى هذه الثقافة وينتقل منها إلى ثقافة فرعية أخرى قد تختلف عن ثقافته الفرعية.

ولما كانت الدراسة الحالية تتحدث عن المعتقدات الشعبية فهي بذلك إنما تتحدث عن كل من الثقافة الكلية والثقافة الفرعية فى نفس الوقت ، فقد سبقت الإشارة إلى أن الثقافة الشعبية هي جزء لا يتجزأ من الثقافة الكلية للمجتمع ، وذلك لأن الثقافة فى معناها العام إنما تنطوي على معنى الثقافة الشعبية . كما أن الثقافة الشعبية كما هي الثقافة الأم ، تكاد تتفرع إلى ثقافات فرعية أخرى، فكل مجتمع محلي ، بل أن كل جماعة اجتماعية تحتفظ بموروثات ثقافية تعتقد فيها وترفض الآخر منها ، مما يجعل لكل مجتمع محلي ولكل جماعة اجتماعية سمات ثقافية شعبية خاصة تميزها عن غيرها ، وتجعل لها هوية ثقافية مميزة. ولكن هذا لا ينكر أبداً وجود إطار عام للثقافة الشعبية يميز هوية المجتمع ككل ويشكل شخصيته القومية، مما يجعل له طابعاً قومياً مميزاً.

وثقافة الرفاعي (محور اهتمام الدراسة الحالية) تحمل فى طياتها العديد من الأفكار والمعتقدات ، تجعل لها خصوصية معينة وتميزها عن باقي الثقافات الأخرى بالمجتمع . وهذه الثقافة تشكل عند الرفاعي طريقة وأسلوب حياة تجعله يتسم بأداء أدوار معينة وممارسة عادات وتقاليد متوارثة عن الأجيال السابقة من الرفاعيين أجداده ، وهو بدوره ينقلها إلى أبنائه ليتم الاحتفاظ بتلك الموروثات

الرفاعية عبر الأجيال ، وعلى هذا يتضح لنا أن للرفاعي أسلوباً متميزاً فى الحياة ، يكشف عنه ما اكتسبه من معتقدات وأعراف وعادات وتقاليد ، وأيضاً ما يؤديه من أدوار فى المجتمع الذي ينتمي إليه.

والوقوف على ثقافة الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع أمر له دلالته فى الدراسة الحالية ، لأن هذا يساعدنا بدوره فى فهم نمط ثقافي مميز موجود بالمجتمع المصري ، مما يشكل لدينا الدافع لفهم هذا النمط الثقافي ومدى تميزه وتكامله فى نفس الوقت مع ثقافة المجتمع.

ولما كان تحديد مشكلة البحث هو المدخل الاستراتيجي للدراسة الميدانية، فإن هذا يساعد فى تحديد الموضوعات المهمة التى تستحق الدراسة ، كما أن البحث الاجتماعي يستلزم وجود مشكلة لها دلالة ولها أهمية وتحتاج إلى وصف وتفسير[1] ومشكلة الدراسة الحالية لها دلالة وأهمية ثقافية واجتماعية لأنها تهتم بوصف وتفسير ثقافة جماعة اجتماعية يطلق عليها " الرفاعية " ، وهذه الجماعة لا يمكن عزلها عن المجتمع الأكبر فالرفاعي الذي ينتمي إلى هذه الجماعة هو فرد فى المجتمع ، يتفاعل معه ويؤثر فيه ويتأثر به، لذا فإن التعرف على ثقافته بما تحويه من معتقدات وعادات وتقاليد هو الشغل الشاغل لهذه الدراسة حتى نتمكن من الكشف عن ملامح هذه الثقافة وتأثيرها فى الدور الاجتماعي للرفاعي ، وكيف ينتقل هذا التأثير بدوره إلى المجتمع ويتأثر به .

وعليه ، يمكن مما سبق بلورة مشكلة الدراسة الحالية فيما يلى :

" ثقافة الرفاعي ودوره فى المجتمع المصري "

وسيتم تطبيق دراسة ميدانية بمدينة طنطا للتعرف على ملامح الثقافة الرفاعية ، والدور الاجتماعي للرفاعي .

وتتمثل أسباب اختيار هذا الموضوع للبحث والدراسة فيما يلى :

1- إن دراسة الثقافات الفرعية أمر له أهميته ، حيث يكشف عن العديد من المعتقدات والعادات والتقاليد التى تمارسها بعض الجماعات الاجتماعية ، مما يثير الفضول العلمي لمعرفة الكيفية التى تتكامل بها هذه الثقافات مع الثقافة الكلية للمجتمع.
2- إن اختيار الباحثة لدراسة ثقافة الرفاعي إنما تحدد فى ضوء أهمية تسليط الضوء على هذه الثقافة ؛ من أجل التعرف على ثقافة غير معروفة بالنسبة للكثيرين ، حيث تندر الكتابات التى تتحدث عن هذه الثقافة باستثناء بعض الكتابات الدينية التى تتحدث عن الطريقة الرفاعية كطريقة صوفية دينية. لذا ، فمن الضروري الوقوف على

دراسة الطريقة الرفاعية من الناحية الثقافية وتأثيرها الاجتماعي فى المجتمع وهو ما ينصب عليه اهتمام الدراسة الحالية.

3- تتيح لنا دراسة ثقافة الرفاعي الكشف عن دوره الاجتماعي فى المجتمع ، وهو ما يشير فى حقيقة الأمر إلى مدى تأثيره الاجتماعي فى المحيطين به ، وهو ما يترتب عليه من ناحية أخرى التعرف على مدى الشعبية التى يحظي بها الرفاعي داخل المجتمع .

وأما عن أهمية الدراسة الحالية فيمكن تحديدها فيما يلى :

1- تناقش الدراسة الحالية قضية ثقافية اجتماعية لها تأثيراتها على كافة المستويات والأصعدة. إذ أن الثقافة الفرعية مازالت تمتلئ بالعديد من الأسرار والخبايا التى تتطلب الكشف عنها ، حتى يتسنى لنا سبر غور العديد من المظاهر الثقافية الشعبية والتى مازلنا لا نعرف عنها الكثير حتى الآن . وقد ترجع أسباب عدم المعرفة بمثل هذه المظاهر الثقافية الشعبية إلى سببين ، السبب الأول : ندرة الكتابات التى تتخصص فى الحديث عنها ، والسبب الثاني : حالة التقوقع التى قد تكتنف بعض أصحاب هذه الثقافات ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى انغلاقهم حول ذواتهم ، وعدم رغبتهم فى الكشف عن خبايا هذه الثقافات – هذا ، وقد ترجع حالة التقوقع والانغلاق لدى البعض منهم لشعورهم بالاغتراب عن الثقافة الكلية لمجتمعهم أو لأنه فى كثير من الأحيان لا يُسمح للأفراد الذين ينتمون إلى جماعة ثقافية معينة بالحديث عن خبايا وأسرار ثقافتهم مع الآخرين ممن هم خارج جماعتهم – وعلى أية حال ، فكل من السببين بحاجة إلى اجتهاد علمي ومثابرة للوصول إلى المعرفة العلمية المتكاملة عن هذه الثقافات ومدى تأثيرها وتأثرها بالثقافة الكلية للمجتمع .

2- تتمثل أهمية هذه الدراسة فى الاحتياج الفعلي لمثل هذه الدراسات التى تتناول جماعة اجتماعية من الضروري التعرف عليها ويمثلها شخص الرفاعي ، والتى تتيح لنا دراسته فهم ثقافته ودوره الاجتماعي فى المجتمع .

3- وتتمثل أهمية هذه الدراسة أيضاً فى أهمية التعرف على المعتقدات والعادات والتقاليد المتوارثة بين الرفاعيين من جيل إلى جيل ، والتى تجعل لهم نمطاً ثقافياً خاصاً ، وأسلوباً متميزاً فى الحياة.

أولاً : أهداف الدراسة وتساؤلاتها :

إن الهدف الرئيسي لهذه الدراسة يتمثل فى التعرف على ثقافة الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع.

وينبثق عن هذا الهدف الرئيسي للدراسة عدة أهداف فرعية أخرى تتمثل فيما يلى :

1- إضافة أفكار وأبعاد علمية جديدة فى مجال دراسة جماعة اجتماعية ثقافية لم تحظ بالاهتمام المناسب من جانب التحليل الاجتماعي ويقصد بها جماعة الرفاعيين.
2- التعرف على العلاقة التأثيرية المتبادلة بين ثقافة الرفاعي والثقافة المجتمعية من حوله.
3- إلقاء الضوء على المظاهر الثقافية الغير معروفة لنا فى ثقافة الرفاعي ومدى تأثيرها فى المجتمع.
4- دراسة مدى تأثير الرفاعي في المجتمع من حوله ، من خلال الكشف عن مدى شعبيته وقبول الآخر له.

كما سبقت الإشارة ، تحاول الدراسة الحالية التعرف على ثقافة الرفاعي ودوره فى المجتمع المصري. وفى ضوء ذلك تثير الدراسة عدداً من التساؤلات يمكن عرضها على النحو التالي :

1- من هو الرفاعي ؟
2- هل ثمة فارق بين الرفاعية كطريقة صوفية ، وبين ممارسة الرفاعي لدوره الاجتماعي ؟
3- كيف يمارس الرفاعي دوره الاجتماعي فى المجتمع ؟
4- ما أهم المعتقدات والعادات والتقاليد التى يمارسها الرفاعي ؟
5- كيف تناقلت الموروثات الثقافية الرفاعية إلى الأجيال الجديدة من الرفاعيين ؟
6- كيف تتم المحافظة على الموروثات الثقافية الرفاعية ؟
7- هل يكشف الرفاعي عن معتقداته وموروثاته الثقافية لمن هم خارج جماعته ؟ بمعنى آخر هل يتقبل الرفاعي الانفتاح بثقافته على أفراد المجتمع؟
8- هل يحظى الرفاعي بالمعرفة والقبول من جانب أفراد المجتمع ؟
9- ما مدى التكامل بين ثقافة الرفاعي والثقافة الكلية للمجتمع ؟

ثانياً : مفاهيم الدراسة :

مـن المفتـرض أنـه يتعـين علـى الباحـث الاجتمـاعي تحديـد وتعريـف المفهومات التى ينطلق منها البحث ، والمفهوم مصطلح أُتفق على معناه وأُقر به ، ويُعبـر عنـه فـى لغـة اصـطلاحية. وتـدل المفهومـات علـى المتغيـرات محـور الدراسة ، وتقتصر وظيفة المفهوم على توضيح قابلية الفعل للفهم، ويدل على مسماه ويميزه عن بقية الأنواع الأخرى من الأفعال أو أنماط السلوك أو النظم أو الظـواهر. ومفهومـات علـم الاجتمـاع تختلـف عـن مفهومـات علـم الـنفس وعلـم الاقتصاد وعلوم الفقه وعلم السياسة والفلسفة ، ومفهومات علم الاجتماع هي التـى تجعل النشاط محور الدراسة نشاطاً اجتماعياً وليس سياسياً أو اقتصادياً وليس نفسياً[2] .

وفي حقيقة الأمر ، لقد كنت فى حيرة بين ثلاث مصطلحات يمكن تعيين أياً منها مفهوماً رئيسياً لهذه الدراسة . وهذه المصطلحات هي: الثقافة ، الثقافة الفرعية ، الثقافة الشعبية. ولكنني تغلبت على هذه الحيرة حينما استرشدت بآراء العلماء التـى تؤكد أن الثقافة الشعبية (كثقافة فرعية) هي جزء لا يتجزأ عن الثقافة الكلية للمجتمع ، وعلى هذا ، فقد تم تعيين مفهوم الثقافة مفهوماً رئيسياً لهذه الدراسة بحيث يمثل نقطة مرجعية للحديث عن الثقافة الشعبية .

وتُعرف سامية حسن الساعاتي الثقافة بأنها نتاج إنساني ، وأنها تاريخية مكتسبة كما أنها تضم الأفكار والنماذج والقيم وأنها مبنية على الرموز ، والتعريف الجيد للثقافة هو الذي ينجح فى الإجابة عن ثلاثة أسئلة تتعلق بالثقافة وهي : ماذا ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟، فإجابة السؤال الأول المتعلق بماهية الثقافة سيصف محتوياتها ومكوناتها ، أما إجابة السؤال الثاني ، فمتعلق بتفسير نشأة الثقافة ووجودها وعوامل استمرارها وبقائها وتغيرها وفنائها ، وبمعنى آخر ، فالتعريف الجيد للثقافة هو الذي يهتم بوصف الثقافة وتحليلها وتفسيرها[3].

وإذا ما انتقلنا بالحديث عن بناء الثقافة ، نجد أن الباحثين يميزون بوجه عام فى تصورهم لبناء الثقافة من حيث الشكل بين ما يُعرف باسم السمة وهي تمثل أصغر وحدة يمكن تحديدها ، وبين ما يعُرف باسم المركب الذي يضم ويؤلف بين مجموعة من السمات ، وعندما تتخذ اتجاهاً محدداً ، وتطبع الثقافة بشكل مميز لها ، يظهر هناك ما يُعرف باسم النموذج ، ثم تتكون ما يعرف باسم الدائرة الثقافية من خلال توزيع نماذج ثقافية متشابهة وظهورها فى منطقة جغرافية معينة[4].

وإذا كانت السمة والمركب والدائرة والنموذج تمثل بناء الثقافة من حيث الشكل ، فإن نتائج دراسة الثقافة قد كشفت عن جوانب أخرى من بناء الثقافة من حيث المضمون ، وتناولت فى هذا الإطار عناصر فى بناء الثقافة تتمثل في :

أ- اللغة : تلعب دوراً كبيراً فى تكوين الثقافة ، مع أنها جزء واحد فيها، ولكنها أهم هذه الأجزاء جميعاً ، لأنه عن طريقها تنقل الثقافة من جيل إلى آخر ، وكذلك تنمو الثقافة .

ب- الفن : والفن كنسق ثقافي لا تخلو منه أي ثقافة فى الحاضر والماضي كما أن مفهومه وعناصره تختلف من ثقافة إلى أخرى ، وذلك لاختلاف قيمة الجمال من مجتمع لآخر . وتقسم المعاجم ودوائر المعارف الفن إلى فنون عملية وفنون جميلة . إذ تشير الفنون العملية إلى الحرفة أو الصناعة أو النشاط الإنتاجي. أما الفنون الجميلة فهي كل إنتاج للجمال يحقق فى أعمال محددة مثل الرسومات والتماثيل والرقصات والموسيقى.

جـ- الأفعال الإنسانية : يجمع الباحثون فى علم الاجتماع على أن الأفعال الإنسانية تعد بمثابة وحدات الملاحظة الأساسية فى الدراسة العلمية للإنسان والثقافة لأنها تمثل الوحدات الأولية للسلوك والميكانيزمات الأساسية التى يمكن بواسطتها أن يتكيف الكائن مع بيئته.

د- الطرائق الشعبية : يُنظر إليها باعتبارها ميكاينزمات كبرى تنظم التفاعل الإنساني والتأثيرات المتبادلة التى يمارسها الناس كل على الآخر فى سبيل الحفاظ على المجتمع والثقافة.

هـ- العرف: وهو الطرق العامة المشتركة التى ينظر إليها على أنها أكثر صدقاً وسلامة من العادات الشعبية ، وتسهم العادات الشعبية والعرف كميكانيزمات كافية لحفظ النظام فى المجتمعات البدائية ، ولكن المجتمع الحديث الذي يقوم على تقسيم العمل يعتمد بجانب العرف والعادات الشعبية على القانون الذي يحمي ويعاقب فى نفس الوقت لحفظ النظام.

و- القانون والنظم الاجتماعية : تعتبر من عناصر الثقافة وصورها الأساسية وهي عبارة عن تنظيم يشتمل على عدد من العادات وجوانب متعددة من العرف والقانون فى بعض الأحيان ، فتدمج جميعاً فى وحدة للقيام بعدد من الوظائف الاجتماعية ، وتتكامل النظم الاجتماعية الواحدة مع الأخرى .

ز- المعتقدات والقيم : يحتاج الإنسان إلى تصورات أساسية للعالم والإنسان والجماعة والسلوك ، تساعده على التكيف والتوافق مع بيئته ، وتقوم الثقافة بتقديم هذه التصورات ، التي تأخذ شكلاً يعرف باسم المعتقدات . وتمثل القيم موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير ، وتشمل كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة ، وتقييم أسس المرغوب وغير المرغوب.

ح- الرموز والطقوس والأسطورة : تعتبر الأسطورة معتقدات مشبعة ومحملة بالقيم والمبادئ التى يعتنقها الناس ويعيشون بها أو من أجلها . وتعبر الرموز غالباً عن القيم والمعتقدات التى تدعم من حين إلى آخر عن طريق الطقوس.

ط- العناصر المادية للثقافة: شاع استخدام مصطلح الثقافة المادية ليدل على الأشياء التى تشكل جزءاً من التراث الاجتماعي الذي يعد بدوره جزءاً من بيئة الإنسان ، وتشكل الطبيعة الجزء الثاني ومن هنا تصبح الأشياء المادية جزءاً من التراث الاجتماعي وإضافة جديدة إلى البيئة. وإذا كانت الثقافة المادية تعبر عن المظهر الفيزيقي للتفاعل الإنساني. فإن الثقافة غير المادية تعبر عن المظهر الأيديولوجي والفكري من هذا التفاعل[5].

وبعد هذا العرض لمفهوم وبناء الثقافة ، ننتقل إلى الحديث عن مفهوم الثقافة الفرعية ، لقد ظهر مفهوم الثقافة الفرعية لأول مرة فى مجال العلوم الاجتماعي خلال البحث الذي أجراه فريدريك تراشر حول عصابات مدينة شيكاغو الأمريكية فى عام 1927 ، حيث يرى تراشر أن هذه الجماعات لها تقاليدها وقيمها من خلال تأثير البيئة التى ينشأ فيها أفراد أو أعضاء تلك العصابات والتى جعلتهم أفراداً منعزلين عن الوسط الاجتماعي السوى . ثم اتجه علماء الاجتماع بعد ذلك نحو دراسة وتطوير فكرة الثقافة الفرعية ، حيث ظهرت فى عام 1959 لدى كل من سزرلاند و هولينجسهيد وذلك من خلال مناقشاتهما لفكرة أنساق السلوك التى اهتم بتوضيحها سزرلاند ، وفكرة الأنماط العامة للسلوك بين الجماعات الاجتماعية الخاصة ، والتى اهتم بتحليلها هولينجسهيد ، حتى أصبح استخدام مفهوم الثقافة الفرعية متداولاً منذ منتصف القرن العشرين[6].

وقد يكون الفرد عضواً فى عدة ثقافات فرعية فى وقت واحد أو فى أوقات مختلفة خلال حياته. ومع أن الثقافات الفرعية توجد داخل إطار الثقافة الأكبر ، فإن لها معاييرها الخاصة ، وقيمها ، وأسلوبها فى الحياة.

ولما كانت الثقافة فى معناها العام تنطوي على معنى الثقافة الشعبية ، كما أن الثقافة الشعبية تتفرع إلى ثقافات فرعية أخرى ، لذا ، فإن تعريف الثقافة الشعبية كما يشير إليه محمد غاليم هو أنها نظام من الرموز والقيم بمعنى أن اللغة تدخل فى الثقافة ، والدين داخل فى الثقافة وتصورنا للفضاء داخل فى الثقافة : مثلاً فى ثقافتي أقول ضربنى البرد / أصابنى البرد يعنى أن البرد هو الذي يأتي عندي أما الفرنسي مثلاً فهو الذي يذهب إلى البرد فيقول "J'ai pris froid" ، وكذلك فى الانجليزية فالأمر يتعلق بتصور شامل للعالم، فالثقافة الشعبية لايدخل فيها فقط الساحر والحكاية الشعبية بل هي نظام متكامل من الرموز والمعتقدات والقيم[7]. ويضيف حسام محسب إلى هذا التعريف تعريفاً آخر يشير إلى أنها تتضمن أيضاً مجموعة العادات والتقاليد والأدب والفنون والحرف والمهارات وشتى المعارف الشعبية التى أبدعها وصاغها المجتمع عبر تجاربه الطويلة ، والتى يتداولها أفراده لتنقل عبر الأجيال[8].

ومن المهم الوقوف على معنى الفلكلور أو التراث الشعبي حتى يتسنى لنا ربطه بالجوانب الثقافية لأفراد المجتمع، والكشف عن العلاقة التأثيرية المتبادلة بينه وبين هؤلاء الأفراد. فلاشك أن للتراث الشعبي دوراً يتناقل عبر الأجيال ، ويتفق الناس أو يختلفون فى مدى اقتناعهم بهذا الدور وتأثرهم به وهو ما يفتح باباً للمناقشة يصعب إغلاقه .

ويعنى التراث الشعبي أو الفلكلور عادات الناس وتقاليدهم ومايعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلاً عن جيل . ويتكون الجزء الأكبر من التراث الشعبي من الحكايات الشعبية مثل الأشعار والقصائد المتغني بها وقصص الجن الشعبية والقصص البطولية والأساطير . ويشتمل التراث الشعبي أيضاً على الفنون والحرف وأنواع الرقص ، واللعب ، واللهو، والأغاني أو الحكايات الشعرية للأطفال ، والأمثال السائدة ، والألغاز والأحاجي ، والمفاهيم الخرافية والاحتفالات والأعياد الدينية[9] .

وثمة تساؤل قد يتبادر إلى الذهن آلا وهو :

كيف عرف الإنسان فى العصر الحديث تلك الموروثات الثقافية الشعبية . أو بمعنى آخر: كيف تناقلت الموروثات الثقافية الشعبية عبر الأجيال؟

وتتضمن إجابة هذا التساؤل الإشارة إلى أن المدونات المخطوطة التى تركها الناس قديماً تحتوي على أمثلة للتراث الشعبي. وعندما طور الناس

نظام الكتابة ، بدءوا فى تسجيل أو تدوين القصص الشعبية . وليس من الضروري أن يكون التراث الشعبي مدوناً أو مكتوباً، إذ أن كثيراً منه قد تناقله الناس شفهياً من شخص لآخر وحتى في يومنا هذا ، فإن بعض الشعوب ليست

لها لغة مكتوبة ، ولكن لديها الأغاني الشعبية والأساطير والخرافات وعناصر التراث الشعبي الأخرى ، وفى بعض الأحيان ينتقل التراث الشعبي عن طريق المحاكاة والتقليد ولقرون عديدة ، تعلم الأطفال الألعاب ومارسوها من خلال المشاهدة ومحاكاة وتقليد الآخرين[10] .

وإذا كانت الدراسة الحالية بصدد الحديث عن الثقافة الشعبية وما تتضمنه من معتقدات وأعراف وعادات وتقاليد ، فلقد وقع الاختيار على دراسة ثقافة الرفاعي ودوره الاجتماعي، فثقافته تتضمن العديد من المعتقدات والأعراف والعادات والتقاليد تتسم بسمات ثقافية خاصة تناقلتها أجيال متعاقبة من الرفاعيين ، مما يجعلها ثقافة متفردة عن الثقافة الأم ومتكيفة معها فى آن واحد.

ونستخلص من تعريف الثقافة الشعبية أنها تجمع بين العناصر اللامادية للثقافة (كالمهارات الفنية والمعايير والمعتقدات واللغة) والعناصر المادية للثقافة (والتى تختص بما لها من شكل أو مظهر فيزيقي أو وجود ملموس ومحسوس كمنتج من صنع الإنسان) ، وهذه العناصر اللامادية والمادية للثقافة ينتجها الإنسان عبر الزمن وتتوارثها الأجيال . وعلى هذا ، يتداخل ويتكامل تعريف الثقافة الشعبية مع تعريف الثقافة الكلية بشكل عام، وهو ما يشكل تعريفاً إجرائياً محدداً للثقافة والثقافة الشعبية فى هذه الدراسة وهذا التعريف الإجرائي إنما يمثل نقطة انطلاق لدراسة ثقافة الرفاعي ودوره الإجتماعي فى المجتمع.

مفهوم الرفاعي :

ترتكز الدراسة الحالية على دراسة ثقافة الرفاعي ودوره الإجتماعي فى المجتمع، وهنا يثار التساؤل عمن هو الرفاعي ؟

الرفاعي هو شخص ينتمي إلى طريقة صوفية تعرف باسم الطريقة الرفاعية ، ولهذا لقب بهذا الاسم نسبة إلى هذه الطريقة .

ولسنا بصدد الحديث عن الطريقة الرفاعية كطريقة صوفية دينية ، ولكننا فى نفس الوقت لا نستطيع دراسة ثقافة الرفاعي دون الرجوع إلى ثقافته المرجعية التى ينتمي إليها . لذا ، سنحاول فى إيجاز شديد التعريف بالطريقة الرفاعية وأهم عقائدها كمدخل لفهم ثقافة الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع.

بداية ً، يمكن تعريف الطرق الصوفية بأنها مدارس فى التزكية والتربية متفرعة من بعضها ومرتبطة بواسطة السند المتصل، وهي ليست فرقاً إسلامية، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية، وتتبع أحد

المذاهب الأربعة السنية ، والاختلاف بينها إنما هو فى طريقة التربية والسلوك إلى الله. وطريقة الرجل تعنى مذهبه ، يقال : هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة . وإصطلاحاً : اسم لمنهج أحد العارفين فى التزكية والتربية والأذكار والأوراد أخذ بها نفسه حتى وصل إلى معرفة الله، فينسب هذا المنهج إليه ويعرف باسمه فيقال الطريقة الشاذلية والقادرية والرفاعية نسبة لرجالاتها. وتختلف الطرق التى يتبعها مشايخ الطرق فى تربية طلابها ومريديها باختلاف مشاربهم واختلاف البيئة الاجتماعية التى يظهرون فيها ، وكل هذه الأساليب لاتخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ، بل هي من باب الاجتهاد المفتوح للأمة ولذلك قيل : لله طرائق بعدد أنفس الخلائق وللطرق الصوفية شارات وألوان يتميزون بها : فيتميز السادة الرفاعية باللون الأسود ، ويتميز السادة القادرية باللون الأخضر وهكذا[11].

والطريقة الرفاعية هي طريقة سُنية صوفية تنسب إلى الشيخ احمد الرفاعي المتوفي سنة (578) هـ . وينتشر أتباعها فى العراق ومصر وسوريا وغرب أسيا. لهم راية باللون الأسود تميزهم عن باقي الطرق الصوفية [12].

ويضع المتصوفه هيكلاً هرمياً يقولون أنه يقود العالم بتفويض من الله تعالى كالأبدال والأوتاد والأقطاب والنجباء والنقباء وهذه الدرجات ذات طابع صارم ولايرتقي المتصوف من مرتبة إلى أخرى إلا عبر العديد من المجاهدات الروحية [13].

البناء الثقافى للطريقة الرفاعية (تحليل سوسيوتاريخى):0..

ولقد تحدث مؤرخ مشهور هو الإمام السلفي الكبير شمس الدين محمد بن أحمد ، المعروف بلقب " الذهبي " عن سيرة الشيخ أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية فيقول عنه فى الجزء الحادي والعشرين من " سير أعلام النبلاء " ما نصه : هو الإمام القدوة العابد الزاهد ، شيخ العارفين أبو العباس أحمد بن على الرفاعي ، المغربي، ثم البطائحي (نسبة إلى ناحية البطائح بجنوب العراق) ويقول فى نهاية كلامه عنه : وكان كثير الاستغفار ، عالي المقدار ، رقيق القلب ، غزير الإخلاص ، توفي سنة (578) هـ فى جمادى الأولى وكان مولده بالعراق سنة (500) هـ

وما بين البدء والمنتهى ، يذكر الذهبي طرفاً من أخبار الرفاعي وأحواله مع الله والناس ، فيقول ماملخصه : وفد أبوه من المغرب إلى العراق ، وسكن البطائح ، بقرية أم عبيدة ، وتزوج بأخت الزاهد منصور الزاهد لكنه توفى وامرأته حبلى بأحمد الرفاعي، والذي تولى خاله الزاهد تربيته ، فنشأ شاباً شافعياً ، ثم شيخاً روحياً ، رقيقاً ، فياضاً بالسلوك الصوفي . ليس فقط مع

أصحابه وأتباعه , وعموم الناس ، بل مع جميع المخلوقات ، حتى أنه كان يداوى الجريح من الكلاب[14].

وهناك كثير من أخبار الرفاعي وأطراف من سيرته الصوفية الرائقة ، نراها عند المؤرخين المشهورين ، غير المتصوفة ، من أمثال بن كثير فى كتابه الكامل وسبط بن الجوزي " مرآة الزمان " وبن خلكان " وفيات الأعيان " وبن العماد الحنبلي " شذرات الذهب فى أخبار من ذهب " وترجم له الذهبي فى عدة من مؤلفاته التاريخية: سير أعلام النبلاء ، تاريخ الإسلام ، العبر فى خبر من غبر. وقد جُمعت مواعظ الرفاعي وخطبه المنبرية فى كتابين : الأول عنوانه " البرهان المؤيد " والآخر بعنوان " كتاب البراكين " . وكان يبدأ دوماً كلامه للناس بعبارة : أي سادة (أيها السادة) [15].

ومن أهم المبادئ التى تقوم عليها الطريقة الرفاعية:

أ- تقوم الطريقة الرفاعية على العمل بمقتضى ظاهر الكتاب والسنة.

ب-أخذ النفس بالمجاهدة والمكابدة، والإكثار من الذكر وقراءة الورد وذلك وفق إرشادات الشيخ وتوجيهاته، مع ضرورة التسليم والانقياد له والانصياع لأوامره.

جـ- على المريد أن يتمسك بالكتاب والسنة ثم تعاليم الشيخ ويعمل بما قاله من الالتزام بالسنة، وموافقة السلف الصالح على حالهم، ولباس ثوب التعرية من الدنيا والنفس، وتحمل البلاء، ولبس الوقار واجتناب الجفاء[16].

وقد اشتهر عن بعض أتباع الرفاعي حديثاً القيام بأفعال عجيبة كاللعب بالثعابين ، وركوب الأسود ، والدخول فى النيران المشتعلة دون أن تحرقهم أو تؤثر فيهم ، وغيرها ، فهذه مما لم تكن معروفة عند الشيخ الرفاعي ، لكنها استحدثت بعد وفاته ، وإن كان الشيخ قد عُرف بحنانه الشديد على الإنسان والحيوان ، وكان أشد ما يكون عطفاً ورعاية للحيوانات الضالة والمريضة[17].

ومن أهم القواعد المرعية فى أصول الطريقة الرفاعية :

أ- قاعدة فى البيعة والذكر : لا يخفي أنه قد اصطلح أعيان أهل الطريقة الرفاعية على قواعد وآداب مأخوذة من صاحب هذه الطريقة العلية وذلك أنهم يأمرون الطالب بالوضوء وصلاة ركعتين لله بنية التوبة والإنابة إليه سبحانه ، وبعد ذلك يجلس المرشد على السجادة مستقبلاً القبلة جاثياً على ركبته بالأدب والخشوع ، ويجلس الطالب أمامه لاصقاً ركبتيه بركبتيه ، ويشتركان معاً فى أداء بعض الأدعية التى يتلوها المرشد على مسامع الطالب.

ب-قاعدة فى سلوك الطريقة العلية الرفاعية : سلوك هذه الطريقة أساسه الأدب وصحة الصحبة ، والصحبة عند رجال هذه الطريقة أول الآداب وهي خدمة المرشد لتنطبع طباع المرشد بطباع المريد فتحسن أخلاقه وينقلب من كل خلق سئ إلى كل خلق حسن.

جـ- قاعدة فى الخلوة الأسبوعية المحرمية : اشترط رجال هذه الطريقة العلية دخول الخلوة المحرمية فى سنة فى اليوم الثاني من عاشوراء أي اليوم الحادي عشر من محرم الحرام إلى مساء اليوم السابع عشر وقد اشترطوا ذلك على كل من انتسب إلى هذه الطريقة العلية وقالوا يلزم على المختلي أن يتخذ له فراشاً خالصاً لا يشاركه فيه النساء وأن يديم الوضوء كلما حدث له ناقض جدده ولا يتكلم بما لا يعنيه ولا يكثر الكلام غير الضروري وإذا لم يكن له عذر فليلزم بيته ويحسن أن يكون منفرداً وأن يكون طعامه خالياً من المشبوهات وأن يقتصر مهما أمكن على الخبز والأدم الخفيفة .

د- قاعدة فى الزي واللباس : لم يقيد صاحب الطريقة أصحابه وأتباعه بزي مخصوص ولا بلباس مخصوص بل أباح لهم ما أباحه لهم الشرع ولم يخصص إلا العمامة السوداء عملاً بالسنة السُنية المحمدية كما صحح ذلك البخاري وغيره . وقد خصص الزى الأسود لنفسه الطاهرة وأتباعه تخصيص إطلاق بلا قيد وفى ذلك إشارة لدوام سؤوده وتأييد شرف طريقته وتخليد ذكره.

هـ- قاعدة فى حلقة الورد والذكر : منهم من ينصب حلقة الورد العام كل ليلة بعد العشاء والغالب يذكرون الذكر الخاص كل ليلة وينصبون حلقة الورد العام للإخوان ليلة الجمعة وليلة الاثنين وكيفيته أنهم يتحلقون بعد العشاء وكل منهم جاث على ركبتيه مرددين الصلوات والأدعية.

و- قاعدة فى مراسيم الطريقة المباركة الرفاعية: من مراسمهم عدة النوبة وهي عبارة عن الدفوف والضرب بها مباح ولا بأس بالضرب بها فى الأعياد ولإعلان النكاح وفاقاً والطبول الأحمدية الكبيرة وهي ضرب من الدفوف أيضاً وهم يضربونها فى ليالى الجُمع والجمعة عيد المؤمن كما جاء فى الخبر والأعلام والرايات وهي من الأولوية وهي إشارة للوقوف فى عسكر الفقر الذي هو عبارة عن جهاد النفس.

ز- قاعدة فيما من الله به من الخوارق على هذه الطائفة الرفاعية: أن كل ماصدر منهم من الخوارق مسبوق بالمعجزات النبوية وأصله فى الكتاب والسنة معلوم وذلك كدخول النار وأكل السم .

ح- قاعدة فى أدب المرشد والمريد : ينبغي أن يكون المرشد المتصدر لخدمة هذه الطريقة العلية كاملاً متشرعاً متديناً عارفاً بأصول الطريقة وأركانها وآدابها وأذكارها وأورادها وسلوكها وأسرارها. وينبغي أن يكون المريد صاحب أدب وخشوع وخضوع عارفاً بمقدار شيخه ، منقاداً له ، حافظاً حرمته وحرمة أهله وأقاربه ومحبيه[18].

ويستمد الرفاعي ثقافته المرجعية من الإطار العام للثقافة الرفاعية ، وثمة تساؤل يطرح نفسه – وقد ذكرته الباحثة ضمن تساؤلات الدراسة – هو هل ثمة فارق بين الرفاعية كطريقة صوفية ، وبين ممارسة الرفاعي لدوره الاجتماعي؟ وبمعنى آخر إلى أي مدى يتأثر الرفاعي فى حياته اليومية بالثقافة التي ينتمي إليها؟ وستسعى الباحثة من خلال الدراسة الميدانية إلى الوصول إلى إجابات محددة بشأن هذه القضية.

وبشكل أكثر تحديداً ، يمكن استخلاص تعريفاً إجرائياً للرفاعي فى هذه الدراسة يتمثل فيما يلى :

" الرفاعي هو شخص ينتمي إلى طريقة دينية صوفية تسمى الطريقة الرفاعية ، وهو يرث العديد من المعتقدات والعادات والتقاليد التى تختص بها هذه الطريقة ، مما يشكل لديه نمطاً ثقافياً مميزاً ، وهو أيضاً فرد من أفراد هذا المجتمع يتأثر بثقافته الكلية ويؤثر فيها ويؤدي دوراً اجتماعيا استناداً إلى ثقافته الرفاعية " .

وإذا كان ماسبق يمثل استنتاجا نظرياً لتعريف الرفاعي فإن البحث الميداني سيزودنا بتعريفات أخرى عن الرفاعي ترتبط بالواقع اليومي الذي يعيشه ، والدور الاجتماعي الذي يمارسه فى المجتمع .

مفهوم الدور :

لقد انقسم العلماء في تعريف الدور إلى ثلاثة اتجاهات :

الأول يرى أن الدور تصور يرتبط بالشخص، وهذا الاتجاه أقرب إلى علم النفس. والاتجاه الثاني يرى أن الدور يدل على المطالب البنائية للسلوك، أي المعايير والتوقعات التى ترتبط بمركز معين ، وهي شئ خارج عن الفرد، وتقود الفرد إلى أداء منظم . وهذا الاتجاه نظرة اجتماعية بحتة تؤكد المفهوم الدوركيمي الذي يلغي دور الفرد فى تحديد السلوك . والاتجاه الثالث يبين أن الدور محصلة ظروف نفسية واجتماعية ، فهو يدل على أفعال الأعضاء المتوافقة مع البناء الاجتماعي ، أو الأساليب التى يؤدي بها الأشخاص السلوك

فى الموقف حسب المعايير المنظمة . وهذا الاتجاه أكثر شمولاًُ من الاتجاهين السابقين ، وأقرب إلى الواقع[19].

وقد كان بارسونز من أوائل الذين أكدوا أهمية التكامل بين الخصائص النفسية والمطالب البنائية فى تعريف الدور . ويرى بارسونز أن البناء الاجتماعي يقوم على أساس تبادل العلاقات بين الأدوار وقد أوضح أن البناء يتكون من مجموعة علاقات بين الأدوار ترتب وتنظم الأشخاص الذين يكونون المجتمع ويعبر التباين البنائي بين الجماعات الذي يبدو خلال النشاط، عن تعدد الأدوار التى يؤديها الأشخاص داخل الجماعة [20].

وقد أعطى بارسونز تعريفاً آخر للدور فى كتابه " نحو نظرية عامة فى الفعل الاجتماعي " حيث يعرف الدور بأنه ذلك الجزء المنظم لتوجيه الفاعل والذي يصيغ ويحدد مشاركته فى عملية التفاعل ، ويتضمن الدور مجموعة من التوقعات المكملة فيما يختص بسلوك الفاعل وسلوك الآخرين الذين يتفاعلون معه. وتتخذ الأدوار شكل أنظمة مستقرة عندما تتطابق مع الأنماط الثقافية ، وتنظم التوقعات المتفق عليها لأنماط الجزاءات الأخلاقية لتوجيهات القيم المشتركة بين أعضاء الجماعة الذين يؤدون نفس الدور[21].

ويشير قاموس علم الاجتماع إلى أن الدور ينقسم إلى :

- دور مكتسب: وهو دور يقوم به الفرد سواء اختاره أو تعلمه.
- دور موروث: يحصل عليه الفرد بصفة تلقائية عند ميلاده أو عند وصوله إلى سن معينة. ويعتبر دور الجنس (الذكر أو الأنثى) من أكثر الأدوار عمومية . كما أن مستويات السن المختلفة ترتبط بتوقعات متباينة. يضاف إلى ذلك أن الأدوار القائمة على عضوية الفرد فى جماعة عنصرية أو دينية معينة تعتبر أدواراً موروثة[22].

وانطلاقاً مما تم عرضه عن مفهوم الدور نستخلص أن الدور هو ما يفعله الشخص أثناء علاقاته مع الآخرين فى المجتمع ، وتنظم هذا الدور مجموعة من المعايير والقيم التى يفرضها المجتمع .

وتسلط الدراسة الحالية الضوء على الدور الاجتماعي للرفاعي أي ما يفعله هذا الشخص أثناء علاقاته – تفاعله الاجتماعي – مع الآخرين متأثراً بثقافته الرفاعية التى ينتمي إليها.

ثالثاً : الدراسات السابقة :

هناك العديد من الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية التى استفادت الباحثة من نتائجها في مجال البحث الحالي وإن كانت هذه الدراسات لاتتناول الطريقة الرفاعية والتى هى محور اهتمام الدراسة الحالية بشكل مباشر.

فعلى سبيل المثال الدراسة المهمة للدكتور فاروق أحمد مصطفى (البناء الاجتماعي للطريقة الحامدية الشاذلية فى مصر دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية) والتى أوضحت أهمية الرابطة فى الطريقة الصوفية والتي هى بمثابة التزام يهدف إلى تحقيق النفع المتبادل لأعضاء الطريقة الصوفية ووظيفتها الاتصال بالمشاعر والأحاسيس الشخصية وتحقيق الإخلاص [23] ، وكتابه عن الموالد : دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر والذي أشار إلى أن العصر الفاطمي كان هو العصر الذهبي بالنسبة للتصوف إذ شجع الفاطميون المتصوفة على التوافد إلى مصر لهدف سياسي بحت مفاده تدعيم نفوذهم وتثبيت شرعيتهم فبالتصوف سعى الفاطميون لإبعاد الناس عن مجال السياسة بالإغراق في الزهد واختلاق المناسبات التى تشغلهم عن الحكم [24].

وهناك الدراسة الرائدة للدكتور سيد عويس وهو إن كان قد تناول الطقوس والظواهر الصوفية في إطار شرحه للتقاليد والعادات المصرية إلا أنه قدم إسهاماً جلياً فى تحليل الجوانب الاجتماعية للتصوف وخاصة في كتابه (رسائل إلى الإمام الشافعي دراسة سوسيولوجية) حيث رصد مدى التجذر الصوفي فى المجتمع بتحليله لظاهرة إرسال الرسائل للإمام الشافعي والتى تأتي من كل أنحاء مصر تقريباً فقد أحصى مئات الخطابات التى تجئ إلى ضريح الشافعي بالقاهرة وحلل مضمونها فوجدها تطلب منه الحكم العادل فى قضايا الناس ورفع الظلم عن كاهلهم والانتقام لهم ممن أذوهم ، كما تطلب منهم شفاء الأمراض وتشغيل العاطلين وإصلاح المتخاصمين وتزويج العوانس والعزاب وإعادة الغائب والمسافر[25].

وتعتبر الدراسة الميدانية التي قامت بها الدكتورة سامية مصطفى الخشاب عن (الشباب والطرق الصوفية) أحد المؤشرات المهمة على عدم الإلمام الكافي لدى الشباب المصري بأسماء وأهداف وتنظيمات الطرق الصوفية فى مصر فعلى عينة مكونة من 420 مفردة من الشباب تبين أن 93.30% من إجمالي العينة لا ينتمون إلى الطرق الصوفية و 72.90% منهم ليست لديهم أي معرفة عن الطرق الصوفية أو عن أسمائها المتعددة كما أن نسبة 84.20% من العينة ليس لديهم اي معلومات عن أهداف الطرق الصوفية و 67.50% يرون أن تواجدها داخل المجتمع غير ضروري و57.10% يعتقدون في أنها لا تقوم بدور إيجابي فى مواجهة مشكلات المجتمع بينما رأى 40.40% أن لها دوراً في نشر الدعوة الدينية داخل المجتمع المصري[26].

كما استفادت الباحثة من دراسة سعاد عثمان عن (النظرية الوظيفية فى دراسة التراث الشعبي : دراسة ميدانية لتكريم الأولياء فى المجتمع المصري) وقد تجلت هذه الاستفادة فى تحديد الرؤية النظرية للدراسة الحالية [27].

رابعاً : الرؤية النظرية للدراسة :

ترجع أهمية عرض النظرية المستخدمة فى الدراسة الحالية إلى أن النظرية محاولة لتفسير خبراتنا اليومية فى الحياة ، تلك الخبرات الشخصية اللصيقة بنا وفقاً لشئ ليس بذلك القرب منا – سواء أكان ذلك الشئ أفعال أناس آخرين ، أو خبراتنا السابقة ، أو عواطفنا المكبوتة وما شاكل ذلك . وفى بعض الأحيان وتلك أكثرها صعوبة يتم التفسير على أساس شئ ماليس لنا به خبرة مباشرة البتة ، وعند هذا المستوى تكون النظرية قد قدمت لنا شيئاً جديداً حقاً عن الحياة[28] .

وتنطلق الدراسة الراهنة من مسلمات النظرية الوظيفية التى توضح ما تسهمه المعتقدات الشعبية والعناصر الثقافية من دور اجتماعي فى المجتمع حيث أكد روبرت ميرتون أن الأداء الوظيفي للعنصر الثقافي يتجه إلى مستويين ، المستوى الأول : الإشباع الفردي والأخر : الاشباع الاجتماعي وبالتالي فالإسهام الوظيفي للعنصر الثقافي يدعم البناء ويحافظ على استمراريته وبالتالي تحاول الباحثة تناول مختلف الأنشطة المرتبطة بظاهرة الرفاعي للتعرف على الأداء الوظيفي لها حيث يتجه هذا الأداء إلى إشباع فئات معينة فى البناء الاجتماعي .

ويهتم محلل الدور بوصف وفهم كثير من المظاهر المعقدة للسلوك الإنساني ، فسلوك المرأة كزوجة وأم ، وسلوك الطفل كتلميذ وابن ، وسلوك الرجل كمرءوس وزوج ، سلوك هؤلاء جميعاً يقع فى نطاق اهتمام محلل الدور ، والذي يركز اهتمامه أيضاً على دراسة مجموعة معينة من الأفراد ، وهو فى أحيان أخرى قد يدرس جماعات معينة من الناس ، تقوم بأفعال معينة أو تسلك سلوكاً معيناً ، ويقصد بتحليل الدور: بيان المضمونات المختلفة التى يحتوي عليها هذا المفهوم ، من وجهة نظر محللي الدور اللذين تتباين تخصصاتهم الدقيقة ، كما تختلف زوايا اهتماماتهم ووجهات نظرهم[29].

ويتكون البناء الاجتماعي من مجموعة من الأنساق الاجتماعية المترابطة وظيفياً ، ويتضمن كل نسق مجموعة من الأشخاص تربطهم علاقات اجتماعية ، ويشغلون مراكز اجتماعية ، ويتبادلون أداء أدوار معينة فى المواقف الاجتماعية . ونحن ندرك الأدوار والمراكز فى مواقف التفاعل فالشخص يعكس

فى الموقف تصوراته عن الأدوار التى يقوم بأدائها ، وتوقعاته المنتظرة لأدوار الآخرين الذين يتبادل معهم أداء الأدوار . ومفهوم الدور وما يشير إليه يختلف عن مفهوم المركز وما يشير إليه . فالدور يشير إلى سلوك الشخص ، وإلى الأسلوب المنظم الدافع إلى المشاركة فى الحياة الاجتماعية ، واشباع الحاجات والرغبات حسب مجموعة من المعايير والقيم، ويدل على أداء الشخص وما يفعله فى المركز الذي يشغله أما المركز فيدل على المكانة أو الوضع الاجتماعي الذي يحتله الشخص فى النسق الاجتماعي. ويتضمن المركز مجموعة من الوظائف التى يؤديها الشخص ، وتفرض عليه مسئوليات محددة تجاه بعض المراكز الأخرى الأعلى ، وتمنحه سلطة واضحة على مراكز أخرى فى أدني السلم الاجتماعي ، كذلك يرتبط المركز بشبكة من الارتباطات مع مجموعة من المراكز الأخرى[30] .

وثمة تساؤل يتبادر إلى الذهن وهو : كيف يؤدي الشخص السلوك الذي يتطلبه الدور؟ والإجابة هى أن سلوك المرء عند أداء دور معين هو نتاج عملية التنشئة الاجتماعية التى تبدأ من الطفولة ، وبالأحرى فمنذ أن يدرك الطفل معنى اتجاهات الآخرين ، يتعلم كيف يؤدي أدواراً معينة ، وهو يتعلم كيفية أداء الأدوار التى تتناسب مع السن والجنس بأساليب شعورية ولا شعورية أثناء تفاعله مع أفراد أسرته[31] .

وإذا ما تحدثنا عن مضمون الدور ، نجد أنه ثمة عناصر تدخل فى تكوين كل دور- ولكن بنسب متفاوتة - لتوجيه السلوك وهي :

1- القيم والمعايير : تضفي على الدور الصفة المعيارية وتحدد له السلوك المناسب والمقبول فى المجتمع ، ولا يرجع الاختلاف فى أداء الأدوار داخل نسق التفاعل إلى نسق القيم بل إلى منزلة كل من هذه القيم لدى الشخص وتوجيهات القيم عند الأشخاص داخل الموقف.
2- الالتزامات الأخلاقية : يتضمن كل دور مجموعة من الالتزامات الأخلاقية ، ويؤكد قبول الفرد لهذه الالتزامات عضويته فى الجماعة وارتباطه بها ، وثمة التزامات أخلاقية متعددة منها التزامات أخلاقية ترتبط بالسن والجنس ، ومنها ماهو عام يصلح لجميع الأعمار من الجنسين ، ومنها ما يعكس تركيب التنظيم الاجتماعي ، والأنساق التى يرتبط بها المرء ، وتحدد هذه الالتزامات التى تدخل فى تكوين الأدوار مطالب الأدوار ، والسلوك المرتبط بالدور ، وهي تنبع من الأيديولوجيات التى تعبر عن ثقافة المجتمع السائدة ، ومن طبيعة العلاقات داخل البناء.

3- العناصر البيولوجية : هي تتداخل مع العناصر الاجتماعية لتحديد سلوك الدور ، فيؤدي الاختلاف البيولوجي بين الرجل والمرأة إلى تفاوت نفسية كل منهما ، ويؤدي هذا التفاوت إلى تمايز القدرات بينهما، ومن ثم تباين القدرات على الانجاز والأداء، مما يساعد على اختلاف أشكال السلوك لكليهما داخل المواقف الاجتماعية[32].

وننتقل إلى قضية فى غاية الأهمية ، وهي قضية صراع الأدوار، ولا يخلو مجتمع عند بارسونز من معاناة أفراده لصراع الأدوار ، ويسود هذا الصراع داخل التنظيمات البنائية الكبيرة والمعقدة أكثر من المجتمعات البسيطة والصغيرة ، كما يسود فى المجتمعات التى يرتبط فيها الأفراد بحوافز متضاربة عند أداء الأدوار . ويرى بارسونز أن الصراع بين الأدوار يظهر جلياً فى صورة صراعات داخلية ، أو احباطات خارجية ، أو كليهما ، أو على صورة مواجهة الفرد لأدوار تتنافر فيها التوقعات ، مما يؤدي إلى ظهور موقف يتعذر فيه حدوث انسجام وتكامل بين الشخصية ونسق التفاعل[33]. فصراع الدور ظاهرة تعكس مشكلة التكامل فى نسق الشخصية أو التفكك فى البناء الاجتماعي، أو عدم الانسجام بين الشخصية والبناء ، وقد يكون محصلة التفاعل بينهما ، فمنابع الصراع ليست من صنع الذات بل هي نتيجة عدم التكامل بين عناصر النسق الاجتماعي[34].

وفى ضوء العرض السابق لنظرية الدور ، وبالتطبيق على الدراسة الحالية يكن صياغة البلورة النهائية لمدخل دراسة الدور الاجتماعي الرفاعي، وتستفيد الباحثة كثيراً من التصور المقترح الذي وضعته سامية الساعاتي لدراسة الدور حيث تشير إلى أن الدور هو مجموعة مواصفات تحدد ما ينبغي أن يفعله الشخص كشاغل لمركز معين على مستوى المجموعة الصغيرة أو المجتمع الكبير ، وهذه المواصفات قد تضعها للشخص المجموعة الصغيرة ، أو قد يحددها له المجتمع الكبير فى شكل معايير وقيم ، أو قد يرسمها الشخص نفسه لنفسه ، متخذاً فى هذه الحالة صورة توقعاته هو نفسه من متطلبات هذا الدور المتصل بمركز معين للدور حين يترجم إلى فعل وسلوك ، لا يكون دوراً فقط ، وإنما يصبح دوراً توظيفياً ، يربط الناس بعضهم ببعض ، بسبب الاعتماد الوظيفي المتبادل بين الأدوار كل فرد يطبع دوره الوظيفي بطابع منفرد متميز[35] .

ويتبين من التحليل السابق لمفهوم الدور أنه يحتوى على ثلاثة مصطلحات أساسية هي :

1- الدور المعياري : هو مجموعة المواصفات أو المتطلبات النابعة من المجتمع أو من الثقافة الكلية ، التى ترسم للأشخاص أدوارهم فى حدود مراكزهم المتباينة ، والقيم هنا جزء لا يتجزأ من تلك المواصفات.
2- الدور المتوقع : هو مجموعة من المواصفات أو المتطلبات التى يتطلبها الأنا من الآخر (والعكس صحيح أيضاً) فى موقف تفاعل يتأثر تأثراً كبيراً بالثقافة الفرعية لكل منهما ومن المعروف أن الثقافة الكلية ترمى بثقلها على الدور المتوقع أيضاً ، فالدور الذي تتوقعه زوجة حضرية من زوجها الريفي النشأة يختلف عن الدور الذي يتوقعه هو منها بحكم ريفية نشأته ، وهنا تؤدي التنشئة الاجتماعية دوراً لا يباري فى توقعات كل منهما من الآخر ، المتأثرة بدورها بالثقافة الفرعية فى المحل الأول ، وبالثقافة الكلية فى المحل الثاني .
3- الدور الوظيفي : هو الدور الفعلي أو الدور المؤدي بالفعل ، ذلك لأنه يؤدي وظيفة التوافق مع الثقافة الكلية أو الفرعية ، فهو سلوك الدور فعلاً أو أداؤه ، وقد يتمشى الدور الوظيفي مع الدور المعياري والدور المتوقع ، وقد لا يتمشى مع أحدهما أو كليهما. كما أنه قد يسايرهما بدرجات متفاوتة ، والخلاصة أن الدور الوظيفي هو المظهر الدينامي للوظيفة ، أي أنه الطريقة التى ينفذ بها الشخص فعلاً المطالب الوظيفية لمركزه[36].

هذا، ويمكن بناء على ما سبق صياغة البلورة النهائية لمدخل دراسة الدور الاجتماعي للرفاعي فى الدراسة الحالية كما يلى :

1- الرفاعي فرد من أفراد المجتمع ينتمي إلى جماعة دينية صوفية يطلق عليها الرفاعية
2- ينتمي الرفاعي إلى ثقافة شعبية فرعية يمكن تسميتها بالثقافة الرفاعية.
3- وبما إن للرفاعي ثقافة خاصة ينتمى إليها ، فإن ما يكتسبه من قيم ومعايير خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، تضفي على دوره الصفة المعيارية وتحدد له السلوك المناسب والمقبول فى المجتمع، بحيث يستطيع التفاعل مع الأفراد فى المواقف المختلفة داخل الثقافة الكلية للمجتمع.
4- يؤدي الرفاعي دوراً وظيفياً فى المجتمع قد يتمشى مع الدور المعياري والدور المتوقع، وقد لا يتمشى مع أحدهما أو كليهما، أو

يسايرهما بدرجات متفاوتة ، وهو ما تحاول الدراسة الميدانية معرفته والتوصل إلى نتائج بشأنه.

خامساً : الاجراءات المنهجية للدراسة :

1- نوع الدراسة :

تعد الدراسة الحالية دراسة وصفية للتعرف على ثقافة الرفاعي ودوره فى المجتمع المصري . وترجع أسباب انتماء الدراسة الحالية إلى الدراسة الوصفية لأنها تهتم بوصف ثقافة الرفاعي وما يمارسه من معتقدات وعادات وتقاليد ، فهي تسعى لتقديم صورة واقعية عن شخص الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع.

2- عينة الدراسة :

يمكن تحديد عينة الدراسة الحالية على أنها عينة عمدية وذلك لما يلي:

أ- لأنه أولاً من الصعب الحصول على عينة ممثلة عشوائية لمجتمع البحث.

ب- وثانياً لأن الباحثة اهتمت بمقابلة الحالات التى تعد مصدراً غنياً للمعلومات ومفيدة فى مجال البحث .

3- مجالات الدراسة :

أ- المجال البشري : يشمل عينة عمدية من الرفاعيين بلغ عددهم (5) حالات فى مدينة طنطا . بالإضافة إلى استطلاع آراء (100) فرد من مختلف الشرائح الاجتماعية عن مفهومهم عن الرفاعي.

ب- المجال المكاني : مدينة طنطا بمحافظة الغربية

جـ-المجال الزمنى : استغرقت الدراسة الميدانية ثلاثة اشهر.

4- طرق الدراسة وأدواتها :

أ- الطريقة: تعد طريقة دراسة الحالة شكلاً من أشكال التحليل الكيفي وتوصف بأنها طريقة أكثر كفاءة للحصول على بيانات أكثر وفرة وأكثر غزارة [37]. وتعتمد الباحثة على طريقة دراسة الحالة للفهم المتعمق لثقافة الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع .

ب- الأداة:سيتم الاعتماد على أداة المقابلة من خلال(3) صور لها:

- استمارة مقابلة: سوف تستعين الدراسة الحالية باستمارة مقابلة بحيث تشمل أسئلة تصمم خصيصاً لجمع معلومات تكشف عن ثقافة الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع .

علـى أن يـتم تطبيـق الاسـتمارة فـى موقـف المقابلـة لجمـع البيانات وإجراء التحليل الكيفي لها.

- المقـابلات الحـرة : إن إجـراء المقـابلات الحـرة (الفرديـة المتعمقة حول موضوع البحث) تساعد فى مزيد من التعمق حول الثقافة الرفاعية عن طريق وفرة رصيد المعلومات التى من الممكن الحصول عليها من جراء هذه المقابلات.
- المقابلات الجماعية: وهي المقابلات التى يمكن أن تنفذ من خلال الشكل المقنن أو شبه المقنن أو غير المقنن، ويعتمد الباحث فيه على توجيه الأسئلة إلى جماعة من الأفراد بشكل منظم فى مكان رسمي أو غير رسمي [38] وسيتم إجراء مجموعة من المقابلات الجماعية مع عدد من أفراد المجتمع للتعرف على مفهومهم عن الرفاعي، بحيث تكون طريقة المناقشة الجماعية هي الأسلوب المتبع فى هذه المقابلات ، ويترك فى هذه المناقشات الحرية للتعبير عن وجهات النظر المختلفة الناتجة عن الموقف الجماعي.

5- نوع التحليل المستخدم للبيانات:

ستلجأ الباحثة إلى استخدام التحليل الكيفي عند تحليل النتائج الميدانية بشأن ثقافة الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع.كما ستلجأ إلى استخدام التحليل الكمي عند استطلاع آراء أفراد العينة بشأن مفهومهم عن الرفاعي.

خامساً: نتائج الدراسة والاستخلاصات الأساسية:

تبدأ الباحثة فى عرض دراستها الميدانية وأهم النتائج التى توصلت إليها للإجابة على تساؤلات الدراسة المحددة سلفاً ، وستذكر الباحثة كل تساؤل من هذه التساؤلات ، وأهم ما تم التوصل إليه من نتائج بشأنه.

التساؤل الأول : من هو الرفاعي ؟

لقد أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن الرفاعي هو شخص ينتمي إلى طريقة دينية صوفية تسمى الطريقة الرفاعية [39]. وهو يرث العديد من المعتقدات والعادات والتقاليد التى تختص بها هذه الطريقة ، مما يشكل لديه نمطاً ثقافياً مميزاً ، وهو أيضاً فرد من أفراد هذا المجتمع يتأثر بثقافته الكلية ويؤثر فيها ويؤدي دوراً اجتماعياً استناداً إلى ثقافته الرفاعية .

والشخص الرفاعي يُمنح هذا اللقب حينما يتم الإعلان عن انضمامه إلى الطريقة الرفاعية من قبل الجمعية الرفاعية[40] التى تتولى استخراج بطاقات الالتحاق بهذه الطريقة ، ليصبح الشخص المنضم إليهم " رفاعياً " ، ويكتب هذا اللقب ببطاقة العضو الجديد ليمنحه صفة الانضمام إلى الطريقة الرفاعية .

وإعلان أن الشخص قد أصبح رفاعياً يعنى التزامه بكافة مبادئ وقواعد الطريقة الرفاعية ، والتى سبق الحديث عنها بالتفصيل عند عرض مفهوم الرفاعي، فالرفاعي يعمل بمقتضى ظاهر الكتاب والسنة، ويكثر من الذكر وقراءة الورد ، ويربط قلبه بالله سبحانه وتعالى (أي بطاعته ومحبته) وتنقلنا هذه النتائج إلى التساؤل الثاني :

التساؤل الثاني : هل ثمة فارق بين الرفاعية كطريقة صوفية وبين ممارسة الرفاعي لدوره الاجتماعي ؟

بدايةً، من إجابة التساؤل الأول يتضح لنا أن الرفاعي هو كل من ينتمي إلى الطريقة الرفاعية ، وهو يستمد ثقافته المرجعية من هذه الطريقة وهي التى توجهه الوجهة المناسبة لأداء دوره الاجتماعي بما يتفق مع مبادئها وقواعدها والتى تبين لنا حفظ حالات الدراسة من الرفاعيين لها عن ظهر قلب.

وتحدد الطريقة الرفاعية للرفاعي العديد من السلوكيات التى لابد أن يراعيها عند تعامله مع أفراد المجتمع ، وقد ذكرت حالات الدراسة منها :

- جعل السلوك فى طريق الفقراء بالتواضع.
- عدم كسر خواطر الفقراء.
- وصل الرحم وإكرام الأقارب.
- قضاء حوائج اليتامى وإكرامهم.
- خدمة الأرامل.
- جعل الإخلاص رفيق فى سائر الأقوال والأفعال.
- هداية الخلق لطريق الحق.
- عدم الرغبة فى الكرامات وخوارق العادات بل وضرورة التستر من الكرامات كما تتستر المرأة من دم الحيض.
- الصلح بين الناس.
- الصبر على المصائب.
- إكرام الضيف.
- الإحسان إلى الوالدين والزوجة والأولاد والخدام.
- خدمة جميع أفراد المجتمع.
- التواضع.

- الاعتدال فى كل شئ.
- العطف على جميع الكائنات الحية.
- الاهتمام بتحصيل العلم.
- الصبر على العمل.
- الحرص على الوقت.
- رفض الظلم الواقع على أي فرد ومساعدته على رد الظلم عنه.
- حب الخير للجميع وعدم التمييز بين الأفراد على أساس الجنس أو اللون أو الدين أو العرق.
- حب الوطن.

ويحرص الرفاعي عند أداء دوره الاجتماعي فى المجتمع على الالتزام التام بهذه السلوكيات والتى يستمدها من ثقافته الرفاعية حتى يستحق شرف الانضمام للطريقة الرفاعية ويفوز برضا الله سبحانه وتعالى فى الدنيا وفى الآخرة.

ومن مظاهر خدمة الرفاعي لأفراد المجتمع ، حرصه على استحقاق شرف أخذ العهد الذي يعطيه القدرة على إخراج الثعابين السامة دون أن تلحق به أذى . فليس كل رفاعي صاحب عهد ، ولكن منهم من يحرص على نواله لأنه منحة ربانية تعنى أنه قد أخذ عهداً من أبيه شيخ الرفاعية بمدينته ليصبح الرفاعي بذلك صاحب عهد لا يتوانى فى خدمة من كان فى حاجة لإخراج ثعبان من منزله أو من عمله أو من أي مكان ، وهذا كله يقوم به الرفاعي صاحب العهد دون مقابل.

ولعل مهمة إخراج الثعابين السامة من المهام التى يشتهر بها الرفاعي بل ويتميز بها لأنه لا يقوم بهذه المهمة أحد غيره ، لأن التعويذة التى يعرفها الرفاعي صاحب العهد لإخراج الثعابين هي تعويذة سرية لايقل سرها لأحد أبداً ، فهي بينه وبين الشيخ الرفاعي فقط.

وتشير حالات الدراسة من الرفاعيين إلى أن ما نراه من قيام البعض فى الاحتفالات والموالد باللعب بالثعابين هو نوع من أنواع العبث يمارسه بعض الهواة من خارج الطريقة الرفاعية ، وذلك بغرض الكسب والاستعراض. والثعابين المستخدمة فى هذه الألعاب غير سامة لأنه لا يستطيع أي هاوي التعامل مع ثعبان سام حتى لا يلدغه . ولكن الرفاعي صاحب العهد هو الذي يقوم بالتعامل مع الثعبان السام بغرض تقديم خدمة إنسانية لأفراد المجتمع بدون مقابل وبدون استعراض لهذه المنحة الربانية

لأنه من آداب وسلوكيات الطريقة الرفاعية التستر من الكرامات وخوارق العادات.

وعلى هذا تؤكد نتائج الدراسة الميدانية أنه لا يوجد فارق بين الرفاعية كطريقة صوفية وبين ممارسة الرفاعي لدوره الإجتماعي ، ويجيبنا التساؤل الثالث عن كيفية ممارسة الرفاعي لدوره الاجتماعي وفيما يلي توضيح لهذا التساؤل وأهم نتائجه.

التساؤل الثالث: كيف يمارس الرفاعي دوره الاجتماعي في المجتمع؟

لقد أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن الرفاعي يمارس دوره الاجتماعي متأثراً بثقافته الرفاعية والتى تضم العديد من القواعد والآداب والسلوكيات التى توجه السلوك الاجتماعي للرفاعي فى المجتمع.

وقد سبق توضيح أن من الأدوار التى ينفرد بها الرفاعي صاحب العهد هى إخراج الثعابين السامة بدون مقابل وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل هام ألا وهو : كيف يمارس الرفاعي صاحب العهد مهمة إخراج الثعابين السامة ؟ ونجيب على هذا التساؤل من خلال ما ذكرته حالات الدراسة الميدانية من الرفاعيين .

إن ممارسة الرفاعي لدوره فى إخراج الثعابين السامة يبدأ منذ أن ينال العهد من يد أبيه الشيخ (ولقبه عند الرفاعي " أبويا ")

ويذهب الرفاعي طالب هذا العهد بإرادته لأخذه ، فهذا العهد لا يورث ولا يجبر عليه الأفراد ، وعن أسباب طلب الرفاعي للعهد ما يلى :

- هذا العهد منحة ربانية.
- حماية للرفاعي ولأفراد أسرته من الثعابين.
- خدمة إنسانية للمجتمع.

يمارس الرفاعي عبادات وأصوام يحددها له شيخ الرفاعية حتى يأتي اليوم المحدد لأخذ العهد ، وفيه يبدأ الشيخ بذكر القسم حيث يبدأ بقوله (أقسمت عليك .....) ، وطالب العهد واقف أمامه ، ويستمر الشيخ فى ذكر بعض الآيات القرآنية ، وبسؤال حالات الدراسة عما إذا كان من الممكن

و ذكر ما يتضمنه القسم وما يتلى من الآيات القرآنية جميعهم اتفقوا على رفض ذكر القسم أو الآيات القرآنية لأن هذا العهد الرباني الممنوح لهم سر من أسرار الرفاعية ، لا يعرفه سوى الرفاعي صاحب العهد وشيخ الطريقة الرفاعية .

وبعد الإنتهاء من طقوس الصلوات ، يشرب الرفاعي مشروباً يطلق عليه الترياق[41] ، فالترياق هو ما يشربه الرفاعي حينما يأخذ العهد ليحميه من لدغ الثعبان ، حيث يشم الثعبان رائحته التى تصدرها إفرازات العرق عند الرفاعي ، فيستجيب له الثعبان ، وعملية إعداد الترياق وما يتخللها من عبادات وصلوات هى التى تعطي لهذا الترياق فاعليته وقوته فى حماية الرفاعي .

وعن خطوات عملية إعداد مشروب الترياق :

- تطحن أوراق الترياق وتوضع فى وعاء عميق له غطاء
- بعد مرورة (15) يوم يرفع الغطاء ويتم إضافة عصير ليمون "أضاليا" ثم يغطي الوعاء مرة أخرى .
- ثم بعد مرور (15) يوم أخرى تكرر نفس العملية ولكن يضاف عسل نحل درجة أولى من أنقى الأنواع ثم يغطى الوعاء مرة أخرى.
- يستمر الوعاء مغلق لمدة (60) يوم تقرأ فيهم يومياً الآيات القرآنية والعهد على خميرة الترياق.
- يشرب الرفاعي بعد إنتهاء المدة الترياق ، وهو يشربه مرة واحدة فى العمر ويكفي هذا لحمايته مدى حياته من سم الثعبان.

وتشير حالات الدراسة الميدانية إلى أن السر فى مفعول الترياق يكمن في قراءة الآيات القرآنية والعهد عليه طوال فترة تجهيزه ، لأن من يشرب من هذا الترياق بدون قراءة الآيات القرآنية والعهد ، لا يستفيد شيئاً من شربه، لأنه لن يكون للترياق أي مفعول يُذكر.

ويسبب شراب هذا الترياق ما يكاد يكون قريباً من تجلط للدم فحتى لو حدث أي إصابة أو جرح للرفاعي نتيجة حوادث فى المنزل أو فى العمل فلا ينزف دماً ، بالإضافة إلى أن الترياق يقوى مناعة الجسم ويحميه من الكثير من الأمراض.

وبعدما يأخذ الرفاعي العهد ويشرب الترياق ، تبدأ عملية اختبار الرفاعي صاحب العهد من قبل أبيه الشيخ . حيث يضع الشيخ مايقرب من (15) ثعبان أغلبهم سام والباقي غير سام ، ويطلب من صاحب العهد المبتدئ أن يضع الثعابين كلها داخل صدره ويخرجها ، وأن يميز بين الثعابين السامة وغير السامة وحينما ينجح فى ذلك يبارك له الشيخ ويبشره بأنه قد أصبح صاحب عهد من الآن.

وعندما يعرف الرفاعي صاحب العهد أن هناك من يعاني من وجود ثعبان ويريد التخلص منه ، يعرض على الفور خدمته وقدرته على إخراج الثعبان بعون الله سبحانه وتعالى ، فهو لا ينتظر حتى يطلب منه أحد ذلك ، ويذهب

الرفاعي مع الشخص إلى المكان المختبئ فيه الثعبان ، وبمجرد دخول الرفاعي يشم الثعبان رائحة الترياق فى جسم الرفاعي ، فيتوجه إليه ويبدأ الرفاعي فى تلاوة تعاويذ معينة لا يمكن لأحد غيره أن يعرفها على الإطلاق لأنها من أسرار العهد الذي أخذه، وبعد تلاوة هذه التعاويذ يأمر الثعبان بالخروج معه من المكان ويستجيب الثعبان للرفاعي ويخرج معه.

وبعدما يُخرج الرفاعي الثعبان من مكانه ، يأخذه معه بعد ذلك إلى المعامل الكيميائية لإخراج السم منه والاستفادة به فى صنع الأدوية وبعد أن تتم عملية تفريغ السم من الثعبان ، يأخذه الرفاعي معه إلى بيته أو إلى أي مكان آمن يضع فيه الثعابين التى يخرجها ، وذلك لأن من آداب الرفاعية العطف على جميع الكائنات الإنسانية ، لذا ، لا يمكن للرفاعي أبداً قتل الثعبان أو التخلص منه بطريقة وحشية بل عليه أن يعطف على هذا الثعبان ويوفر له المأكل والمشرب.

ويمارس الرفاعي - سواء كان صاحب عهد أم لا – العديد من الأدوار الاجتماعية الأخرى فى المجتمع. فعن طريق الجمعية الرفاعية يمارس الرفاعي العديد من الأنشطة الخيرية لمساعدة الفقراء والأيتام والأرامل من جميع الطوائف والأديان ، كما تعقد الندوات التى تناقش مشكلات المجتمع وقضاياه ودور الرفاعي كفرد فى المجتمع فى علاجها للنهوض بمجتمعه ، كذلك تعقد الاجتماعات الدينية التى تحث الرفاعي على الالتزام بمبادئ وسلوكيات الطريقة الرفاعية لأداء دوره فى العمل وفى خدمة أفراد المجتمع على أكمل وجه.

وعلى هذا ، نستخلص من نتائج الدراسة الميدانية أن الرفاعي سواء كان صاحب عهد أم لا يؤدي دوره الاجتماعي فى المجتمع استناداً إلى ثقافته وما تتضمنه من قواعد وآداب وسلوكيات يحفظها الرفاعي عن ظهر قلب ويمارسها قولاً وفعلاً .

(42)

التساؤل الرابع : ما أهم المعتقدات والعادات والتقاليد التى يمارسها الرفاعي؟

تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى أن أهم معتقدات الرفاعي تتمثل فيما يلى:

1- **موت الثعبان إذا ما غضب عليه الرفاعي :** إن غضب الرفاعي صاحب العهد على الثعبان إذا لم يستجب له يعنى موت هذا الثعبان ، ويحكى رفاعي من ضمن حالات الدراسة أنه كان جالساً مع أصدقائه ورأوا ثعبان من بعيد ، فطلب الرفاعي من الثعبان المجيء إليه فلم يستجب ، فغضب عليه ، فما كان إلا أن أصاب هذا الثعبان انحسار فى مكانه ثم انتفخ جسمه ومات فى مكانه وهذا كله يعنى أن عدم استجابة الثعبان للرفاعي تعنى موت الثعبان .
2- **تعويذة الترياق:** يعتقد الرفاعي فى تعويذة تسمى تعويذة الترياق لحماية أهل المنزل من دخول الثعابين . ويُعد الرفاعي صاحب العهد هذه التعويذة بنفسه حيث يطلب من أهل المنزل وعاء يوضع بداخله ماء ويُعصر عليه ليمونة يقطعها الرفاعي بأسنانه لتختلط بلعابه الممزوج بالترياق ، وبعد إضافة الليمونة إلى الماء ، تقرأ بعض الآيات القرآنية ، ويبدأ الرفاعي فى رش المنزل بهذه التعويذة حتى لا تدخل إليه الثعابين.
3- **تقبيل الرفاعي لأهل بيته يحميهم من لدغ الثعابين :** يعتقد الرفاعي أن تقبيله لزوجته ولأولاده يحميهم من لدغ الثعابين وذلك لأنهم يحصلون منه على مادة الترياق التى يشربها الرفاعي حينما يُمنح العهد.
4- **المحوي:** هو أي فرد من خارج الطريقة الرفاعية (ومن أي ديانة) يتناول مشروب الترياق ليصبح محمياً من لدغ الثعابين، حيث تسمح الطريقة الرفاعية بذلك. ولكنه لا يستطيع إخراجها كما يفعل الرفاعي صاحب العهد ، لأن من يُمنح العهد هو الرفاعي فقط.

وقد أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن العادات والتقاليد المرتبطة بدورة الحياة كالطعام والشراب والملبس ، الزواج والطلاق ، الميلاد والوفاة، هي نفسها العادات والتقاليد التى يسمح بها الدين الإسلامي ، ويمارس الرفاعي نفس طقوس الميلاد والزواج والوفاة كما هو معتاد ممارستها فى المجتمع المصري ، ولا تفرض الطريقة الرفاعية زياً محدداً للرجل أو للمرأة، كما أنها لا تفرض على المرأة الحجاب وإن كان يشترط على المرأة الرفاعية إذا ما طلبت أخذ العهد ، وتميل الرفاعية إلى الوسطية والاعتدال فى كل الأمور الحياتية.

التساؤل الخامس : كيف تناقلت الموروثات الثقافية الطريقة الرفاعية إلى الأجيال الجديدة من الرفاعيين ؟

تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى أن الموروثات الثقافية الرفاعية يتم تناقلها عبر الأجيال منذ تأسيس هذه الطريقة على يد مؤسسها الشيخ أحمد الرفاعي، حيث جمعت مواعظه وخطبه المنبرية فى كتابين هما: البرهان المؤيد ، كتاب البراكين ، وقد استلم هذه المواعظ والخطب شيوخ الطريقة ويسلمونها بدورهم إلى الأجيال الجديدة من الرفاعيين فيحرصون على أن تضم خطبهم المنبرية تلك الموروثات ، كما يحرصون على إصدار الكتب والدوريات التى تشرح تاريخ الطريقة الرفاعية وقواعدها وأصولها.

كما تنظم الجمعية الرفاعية بكل محافظة العديد من الاجتماعات والندوات الثقافية والدينية ، والتي تتيح للرفاعي الفرصة للقاء شيوخ الطريقة من جميع المحافظات وإلقاء الأسئلة التى يريد الاستفسار عنها وأخذ إجاباتها من هؤلاء الشيوخ ، ويساعد هذا التواصل بين الأجيال الجديدة من الرفاعيين وبين شيوخ الطريقة على تناقل الموروثات الثقافية الرفاعية.

التساؤل السادس : كيف تتم المحافظة على الموروثات الثقافية الرفاعية؟

أكدت النتائج الميدانية أن اشتراط انضمام أي شخص جديد إلى الطريقة الرفاعية هو القسم والتعهد أمام شيخ الطريقة بالالتزام التام بحفظ قواعد وآداب هذه الطريقة والعمل بها. ولا يُمنح أي شخص لقب "رفاعي" إلا بعد تأكد شيخ الطريقة من حفظه ووعيه التام بكل ما جاء بها ، وهو ما يضمن المحافظة على الموروثات الثقافية الرفاعية عبر الأجيال.

التساؤل السابع : هل يكشف الرفاعي عن معتقداته وموروثاته الثقافية لمن هم خارج جماعته؟ بمعنى آخر: هل يتقبل الرفاعي الانفتاح بثقافته على أفراد المجتمع؟

كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن ضرورة التمييز بين نقطتين فى غاية الأهمية :

النقطة الأولى : تقبل الطريقة الرفاعية بشكل عام أن ينفتح أفرادها بثقافتهم على أفراد المجتمع ، كما تقبل انضمام من يريد من الأفراد إليها بشرط الاقتناع التام بمبادئها . ويتعامل الرفاعي مع الجميع سواء فى محيط الأقارب أو الجيران أو العمل بكل تواضع ، ويرفض الافتراء ويتقبل الآخر بدون تمييز ، كما يجيب على أي تساؤل يُطرح من قبل

الأفراد فيما يخص الطريقة الرفاعية ، وإذا ما طلب أحد منه كتاب يشرح له الرفاعية وقواعدها وآدابها ، فإنه لا يتواني فى ذلك . وكل هذا فى مجمله إنما يعنى تقبل الرفاعي عن كشف معتقداته وموروثاته الثقافية لمن هم خارج جماعته.

النقطة الثانية : تخص الرفاعي صاحب العهد ، فالعهد هو السر الوحيد الذي لا يمكن أن يذكره لأحد . ولا يعلن الرفاعي عن قدرته على إخراج الثعابين السامة لمن حوله فى محيط العمل ، ولا يتباهى بهذه الخدمة ولكنه حينما يعرف أن هناك من يعانى من وجود ثعبان يريد التخلص منه لا يتردد أبداً فى عرض خدمته لهذا الشخص ، ويرفض الرفاعي تصويره أثناء قيامه بإخراج الثعبان لأن هذا العهد رباني ولا يجوز تصويره بغرض التباهي، كما لا يجوز الإعلان عنه بأي شكل من الأشكال إلا فيما يخص خدمة الأفراد وتخليصهم من الثعابين السامة بدون مقابل.

التساؤل الثامن : هل يحظى الرفاعي بالمعرفة والقبول من جانب أفراد المجتمع ؟

قامت الباحثة باستطلاع آراء (100) فرد من مختلف الشرائح الاجتماعية بمدينة طنطا عن طريق إجراء المقابلات الجماعية المفتوحة للتعرف على التصور السائد عن الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع . وطرحت تساؤل محدد لجميع الأفراد هو : **ماذا تعرف عن الرفاعي ؟** وقد أشارت نتائج الدراسة الميدانية إلى ما يلى :

1- يعرف جميع أفراد العينة أن الرفاعي هو شخص ينتمي إلى طريقة دينية صوفية تسمى الرفاعية
2- يرتبط اسم الرفاعي لدى جميع أفراد العينة بمن يقوم بمهمة إخراج الثعابين .
3- لا يفرق الغالبية من عينة الدراسة (ما يقرب من 80% منهم) بين الرفاعي المنتمي إلى الطريقة الدينية ، والرفاعي صاحب العهد ، فأي رفاعي يستطيع إخراج الثعابين من وجهة نظرهم . ونسبة قليلة منهم (حوالي 20%) فقط هي التى تعرف أن هناك عهد يأخذه الرفاعي لإخراج الثعابين ، ولكنهم لا يعرفون شروط أخذ العهد أو مضمونه.

4- لا يعرف جميع أفراد العينة أن الرفاعي يقوم بإخراج الثعابين بدون مقابل ، ويعتقدون أنه فعل يأخذ عليه أجر.
5- يعتقد جميع أفراد العينة أن من يقوم باللعب مع الثعابين فى الموالد هو رفاعي طالما يتعامل مع الثعابين ، وهم بذلك لا يميزون بين الهاوي والرفاعي .

السؤال التاسع : ما مدى التكامل بين ثقافة الرفاعي والثقافة الكلية للمجتمع؟

أكدت نتائج الدراسة الميدانية أن ما تتسم به ثقافة الرفاعي من قدر كبير من التسامح وحب الخير والعطاء دون مقابل ، هو ما يجعلها تحقق نوعاً من التكامل مع الثقافة الكلية للمجتمع ، لأنها تتيح للرفاعي الانفتاح على الآخرين وتقبلهم والتعامل معهم بدون تمييز ، وثمة شواهد تؤكد ذلك :

1- يشترك أتباع الطريقة الرفاعية مع أتباع الطرق الصوفية الأخرى فى إقامة الموالد الدينية ، وتجمعهم العديد من الموائد الرمضانية ، كما يتبادلون الزيارات فى جميع المناسبات.
2- تتشابه العادات والتقاليد المرتبطة بالطعام والشراب والملبس والميلاد والزواج والوفاة عند الرفاعي مع ما هو سائد ومعتاد بهذه العادات والتقاليد فى المجتمع المصري .
3- إن من مبادئ الطريقة الرفاعية حب الوطن والانتماء إليه ، ورفض الظلم والمطالبة بتحقيق العدالة الاجتماعية ، لذا ، يشارك الرفاعي أبناء المجتمع رفضهم للظلم ، ويميز الطريقة الرفاعية الراية السوداء إشارة إلى رفض الظلم بجميع صوره فى المجتمع.

وما سبق يشير إلى وجود قدر كبير من التكامل بين ثقافة الرفاعي والثقافة الكلية للمجتمع.

وقد اهتمت الباحثة بدراسة ثقافة الرفاعي ودوره الاجتماعي فى المجتمع، واتخذت من نظرية الدور منطلقاً نظرياً يوجه الدراسة لفهم الدور الاجتماعي للرفاعي . وقد أوضحت النتائج أن الرفاعي يؤدي دوراً وظيفياً فى المجتمع يتمشى مع الدور المعياري الذي حدده المجتمع أو الثقافة الكلية . أما عن الدور المتوقع فقد أشارت النتائج إلى أن الغالبية من أفراد العينة تتوقع من الرفاعي – طالما أنه يحمل هذا اللقب – أن يقوم بإخراج الثعابين ، فلا تميز بين الرفاعي المنتمي إلى الطريقة الدينية وبين الرفاعي صاحب العهد . كما يتوقع الأفراد من الرفاعي قيامه باللعب مع الثعابين فى الموالد والدخول فى نيران مشتعلة أو ركوب الأسود ، وهو عكس الواقع ، بمعنى أنه عكس الدور المتوقع فعلاً من الرفاعي ، لأنه لا يستعرض قدراته كصاحب عهد ولا يأخذ ثمناً لما يقوم به

ويرفض تصويره أثناء قيامه بإخراج الثعابين ، ولا يقوم بالدخول فى نيران مشتعلة أو ركوب الأسود ، ولكن الهاوي هو الذي يستعرض ذاته بالثعابين غير السامة لإظهار قدرات غير حقيقية للناس واستغلال هذا للكسب والرزق ، أما عن الدخول فى نيران مشتعلة أو ركوب الأسود ، فهذه الأفعال يقوم بها أيضاً الهواة فى الموالد.

وختاماً ، تكشف دراسة ثقافة الرفاعي عن العديد من القواعد والمعايير والآداب والسلوكيات التى تتسم بها هذه الثقافة ، مما يجعلها تضفي على تابعيها سمات وأدوار تتآلف وتتكامل مع الثقافة الكلية لخدمة المجتمع والنهوض به.

الهوامش و المراجع :

1- محمد سعيد فرح – طريقة كتابة البحوث الاجتماعية – جامعة طنطا – كلية الآداب – 2002 – ص169

2- المرجع السابق – ص 187

3- سامية حسن الساعاتي – الثقافة والشخصية، حوار لا ينتهي – سلسلة العلوم الاجتماعية – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 2009 – ص ص57 - 58

4- على عبد الرازق جلبي – دراسات فى المجتمع والثقافة والشخصية – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – 2003 – ص82 .

5- المرجع السابق – ص ص 89 -97

6- محمد عباس إبراهيم – الثقافات الفرعية – دراسة أنثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الإسكندرية – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – 1985 – ص125

7- محمد غاليم – ماهي الثقافة الشعبية ؟ - مجلة الثقافة الشعبية – مرجع سبق ذكره – ص133.

8- حسام محسب – ماهية الثقافة ودورها فى تعريف الرقص الشعبي – مجلة الثقافة الشعبية – العدد الثاني – البحرين – أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر – يوليو/أغسطس /سبتمبر -2008– ص 109

9- المرجع السابق – ص 109

10-المرجع السابق – ص 111

11-أبو عبد الرحمن السلمي – طبقات الصوفية – بدون بلد نشر – دار الكتب العلمية – 2003 – ص109

12-http://ar.wikipedia.org/wiki/

13-محمد الجوهري – موسوعة التراث الشعبي العربي (المعتقدات والمعارف الشعبية) – الجزء الأول – القاهرة – الهيئة العامة بقصور الثقافة – 2012 – ص 125

14-يوسف زيدان – الجماعات الصوفية المصرية – طريقة الراعي أحمد الرفاعي - http://ar.wikipedia.org/wiki/ - وروى عنه الذهبي أيضاً أن قطة كانت تعيش فى بيته ، نامت يوماً على طرف ردائه ، فلما قامت الصلاة لم يشأ أن يزعجها بالطرد، فقص طرف الرداء ، ولما عاد من صلاته وصله بالخياطة وقال:ما تغير شئ

15-المرجع السابق

16-http://alsadaalrefaeya.alafdal.net/f4-montada
17-المرجع السابق
18-إبراهيم الراوي الرفاعي – مختصر القواعد المرعية فى أصول الطريقة الرفاعية – 1388هـ - 1968م – المرجع السابق
19-محمد سعيد فرح – البناء الاجتماعي والشخصية – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – 1998 – ص ص 302 ، 303
20-Parsons, T- Theories of Society – Foundation of Modern Sociological Theory –2ed printing. N.Y. free press. Glencoe – 1962 – p239.
21-Parsons, T. Toward A General Theory of Social Action – 4 h printing – Cambridge, Harvard univ. Press – 1951 – P23.
22-محمد عاطف غيث – قاموس علم الاجتماع – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية – 2005 – ص391 .
23-فاروق أحمد مصطفى – البناء الاجتماعي للطريقة الحامدية الشاذلية فى مصر : دراسة فى الأنتثروبولوجية الاجتماعية – الأسكندرية – الهيئة العامة للكتاب – 1980
24- ـــــــــــــــــ - الموالد : دراسة للتقاليد والعادات الشعبية فى مصر – الأسكندرية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1982
25- سيد عويس – رسائل للإمام الشافعي : دراسة سوسيولوجية – الطبعة الثانية – القاهرة – دار السابع للنشر – 1972
26-سامية مصطفى الخشاب – الشباب والتيار الإسلامي فى المجتمع المصري المعاصر دراسة اجتماعية ميدانية – القاهرة – دار الثقافة العربية 1988
27-سعاد عثمان – النظرية الوظيفية فى دراسة التراث الشعبي : دراسة ميدانية لتكريم الأولياء فى المجتمع المصري – الجزء الأول – القاهرة – الهيئة العامة لقصور الثقافة – 2014
28-إيان كريب – النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس –ترجمة / محمد حسين غلوم – سلسلة عالم المعرفة – الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – العدد 244 – 1999– ص ص26 ، 27
29-سامية حسن الساعاتي – مرجع سبق ذكره – ص ص 284 ، 285

30-محمد سعيد فرح – البناء الاجتماعي والشخصية – مرجع سبق ذكره – ص ص 297 – 299 .
31-المرجع السابق – ص 321
32-المرجع السابق – ص ص 327 -330
33- Parsons, T. -Toward A General Theory of Social Action. OP, cit, p26.
34- Ibid- P299
35-سامية حسن الساعاتي – مرجع سبق ذكره – ص ص 301 ، 302
36-المرجع السابق – ص ص 302-303
37-محمد سعيد فرح – طريقة كتابة البحوث الاجتماعية – جامعة طنطا – كلية الآداب – 2002 – ص318 .
38-محمد ياسر شبل الخواجة – البحث الاجتماعي (أسس منهجية وتطبيقات عملية) - القاهرة - دار مصر العربية للنشر والتوزيع - 2011 - ص382.
39-تضم الطريقة الرفاعية نحو 2 مليون مريد حسب تقديرات الجمعية الرفاعية .
40-الجمعية الرفاعية مقرها الأصلي بالقاهرة فى منطقة القلعة ، ولها فروع فى جميع محافظات الجمهورية ، وفى مدينة طنطا توجد فى منطقة ستوتة.
41-شجرة الترياق : شجرة توجد فى السعودية واليمن والهند ، ويستخدم أصحاب الطريقة الرفاعية أوراقها فى إعداد مشروب الترياق.
42-يظهر فى هذه الصورة رفاعي يحيط برقبته ثعبان سام بعد أن قام بإخراجه من إحدى المخازن ، وقد وافق على منحي هذه الصورة طالما تخدم أغراض البحث العلمي.

استمارة مقابلة
ثقافة الرفاعى ودوره الإجتماعى فى المجتمع
دراسة ميدانية فى مدينة طنطا

إعداد

ماريان عزمى عازر فهمى

مدرس بقسم علم الاجتماع

كلية الآداب – جامعة طنطا

بيانات هذه الاستمارة سرية ولا تخضع إلا لأغراض البحث العلمي

أولا : بيانات أولية :

الاســــــــــم :
الســــــــــن :
النــــــــــوع :
الحالة التعليمية :
الحالة الزواجية :
المهنية الحالة :

ثانيا : ثقافة الرفاعى ودوره الإجتماعى فى المجتمع :

1- ما معنى الرفاعى ؟
2- هل هو أسم أم لقب ؟
3- ما معنى الطريقة الرفاعية ؟
4- هل يمكن لأي فرد الانضمام إلى الطريقة الرفاعية ؟
5- ما أهم المعتقدات التى يؤمن بها الرفاعى ؟
6- ما أهم الآداب والسلوكيات التى يسلك الرفاعى بموجبها ويؤدى دوره الإجتماعى ؟
7- ما أهم العادات والتقاليد التى يمارسها الرفاعى ؟
8- كيف تناقل تراث الطريقة الرفاعية إلى الرفاعى ؟
9- كيف يحافظ الرفاعى على هذا التراث ؟
10- هل يوجد دور معين يقوم به الرفاعى يميزه عن غيره من الأفراد ؟
11- كيف تؤثر ثقافة الرفاعى فى قيامه بدوره الإجتماعى ؟
12- ما علاقة الرفاعى بمن حوله (الأقارب – الجيران – زملاء العمل)؟
13- ما علاقة الرفاعى بأصحاب الطرق الصوفية الأخرى ؟
14- هل يوجد توافق بين ثقافة الرفاعى وثقافة المجتمع ككل ؟

ملخص دراسة عن

ثقافة الرفاعى ودوره الإجتماعى فى المجتمع

دراسة ميدانية فى مدينة طنطا

إعداد

ماريان عزمى عازر فهمى

مدرس بقسم علم الاجتماع

كلية الآداب – جامعة طنطا

تهتم الدراسة الحالية بدراسة الثقافة الشعبية، وهى بذلك تتحدث عن كل من الثقافة الكلية والثقافة الفرعية فى نفس الوقت ، لأن الثقافة الشعبية هى جزء لا يتجزأ من الثقافة الكلية للمجتمع ، وذلك لأن الثقافة فى معناها العام إنما تنطوي على معنى الثقافة الشعبية ، كما أن الثقافة الشعبية كما هى الثقافة الأم ، تكاد تتفرع إلى ثقافات فرعية أخرى ، فكل مجتمع محلى ، بل أن كل جماعة اجتماعية تحتفظ بموروثات ثقافية تعتقد فيها وترفض الأخر منها ، مما يجعل لكل مجتمع محلى ولكل جماعة اجتماعية سمات ثقافية شعبية خاصة تميزها عن غيرها ، وتجعل لها هوية ثقافية مميزة . ولكن هذا لا ينكر أبداً وجود إطار عام للثقافة الشعبية يميز هوية المجتمع ككل وبشكل شخصيته القومية مما يجعل له طابعا قوميا مميزا .

وثقافة الرفاعى (محور اهتمام الدراسة الحالية) تحمل فى طياتها العديد من الأفكار والمعتقدات ، تجعل لها خصوصية معينة وتميزها عن باقى الثقافات الأخرى بالمجتمع . وهذه الثقافة تشكل عند الرفاعى طريقة وأسلوب حياة تجعله يتسم بأداء أدوار معينة وممارسة عادات وتقاليد متوارثة من الأجيال السابقة من الرفاعيين أجداده ، وهو بدوره ينقلها إلى أبنائه ليتم الحفاظ على تلك الموروثات الرفاعية عبر الأجيال ، وعلى هذا يتضح لنا أن للرفاعى أسلوبا متميزا فى الحياة يكشف عنه ما أكتسبه من معتقدات وأعرف وعادات وتقاليد ، وأيضاً ما يؤديه من أدوار فى المجتمع الذي ينتمي إليه .

والوقوف على ثقافة الرفاعى ودوره الإجتماعى فى المجتمع أمر له دلالته فى الدراسة الحالية ، لأن هذا يساعدنا بدوره فى فهم نمط ثقافى مميز موجود بالمجتمع المصرى ، مما يشكل لدينا الدافع لفهم هذا النمط الثقافي ومدى تميزه وتكامله فى نفس الوقت مع ثقافة المجتمع ، ولهذا اعتمدت الباحثة فى دراستها على دراسة حالة عدد من الرفاعيين وإجراء مقابلات مفتوحة معهم ، كما اهتمت باستطلاع آراء شرائح اجتماعية مختلفة عن مفهوم الرفاعى لديهم ، فى محاولة لفهم الأفكار والآراء التى تدور حول الرفاعى من قبل أفراد المجتمع.

Abstract

The current study concentrates on folk culture. Therefore, it studies total culture and sub-culture at the same time, as folk culture is a core component of the society's total culture. The general meaning of culture includes the meaning of folk culture. Folk culture, like mother culture, divides into sub-cultures as each and every local community and community group has its own cultural heritage that differs from the cultural heritage of other communities or groups. This provides such local communities and community groups with its specific cultural identity. But this does not negate the general framework of folk culture that characterizes the whole society and forms its national character as this general cultural framework provides each society with its distinct national identity.

The current study is concerned with "REFAEE" culture. This folk culture has its own characteristics represented in ideas and beliefs that make this culture very distinct from other folk cultures in the Egyptian society. For a "REFAEE", this culture is a life style characterized by playing certain roles and practicing certain customs and traditions inherited from "REFAEE" ancestors. In turn, the "REFAEE" transfers theses customs and traditions to the next generation so that "REFAEE" heritage is preserved through generations. This indicates the distinct life style of the "REFAEE" acquired from specific customs, traditions and roles played and practiced inside the general society.

Understanding the "REFAEE" culture and social role is very significant to the present study as it helps understanding a distinct cultural pattern that exists in the Egyptian society. In turn, this helps understanding how this specific cultural pattern is very distinct and, in the main time, integrated into the society's cultural framework. The researcher depended on case studies performed through interviews with several "REFAEES", along with the opinions of several social sectors about their concepts about "REFAEE" to help understanding the society's point of view about "REFAEES" .